

قِصَّةُ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٥) حسن مهدي قاسم الريمي



الحمد لله الذي جعل الهجرة فتنةً ونصرًا وعزًّا للإسلام وفخرًا للمسلمين. والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد سيد المرسلين وإمام المهاجرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فبعد عناء السفر ومعاناة المسير وصل ركب النبي - ﷺ - إلى المدينة المنورة في شهر ربيع الأول، من العام الثالث عشر من البعثة، وهي السنة الأولى من الهجرة.

وَعَلَى مَشَارِفِ يَثْرِبٍ طَلَعَ الشَّمْسُ
وَبَدَا الرَّسُولُ عَلَى الْأَجْبَةِ مُشْرِقًا

وقبل أن يدخل النبي - ﷺ - المدينة نزل في قباء على (كلثوم بن الهرم) كبير بني عمرو بن عوف، وهو أول الصحابة وفاة من الأنصار بعد هجرة النبي - ﷺ -.

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - من المهاجرين والأنصار الذين كانوا يترقبون وصوله كل يوم قد سبقوه إلى ذلك المكان.

الْقَوْمُ مَذْفَارَقَتْ مَكَّةَ أَعْيُنُ
تَأْبَى الْكَزَى وَجَوَانِحُ تَمْلَمَلُ

يَتَطَّلَعُونَ إِلَى الْفَجَاجِ وَقَوْلُهُمْ
أَفَمَا يُطَالِعُنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

فلما رآه رجل من اليهود عرفه وصعد على أطم من أطام المدينة (قلعة)، فنادى بأعلى صوته يامعشر بني قيلة هذا جدكم الذي تنتظرون، يعني: حظكم، وصاحب دولتكم. وبنو قيلة: هم الأوس والخزرج. وسموا بذلك لأن أهمهم الأخيرة كانت تسمى قيلة. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوه بظهر الحرة، وشمعت في المدينة الرجّة والتكبير: الله أكبر جاء رسول الله، فرحًا بقدومه وخرجوا للقاءه.

أقام - ﷺ - في قباء يوم الإثنين والأربعاء والخميس والجمعة، وقبل أن تزول الشمس ويؤم الناس في الجمعة، ترك بني عمرو بن عوف ومر على بني عمومتهم بني سالم بن عوف فدعوه، فما أحب أن يفرق بينهم حتى لا يبتج بني عمرو بن عوف على بني سالم، وكلهم أبناء رجل واحد على أخوانهم، فقبل أن ينزل في بني عمرو بن سالم ليصلي الجمعة عندهم، وكانت أول جمعة صلاها النبي - ﷺ - في المدينة، وأسس مسجد قباء.

وبعد أن تجاوز الوادي الذي صلى فيه أتى إلى المدينة في ثنية الوداع، فخرج الناس إلى استقباله، قال أنس - رضي الله عنه -: "دخل علينا النبي - ﷺ - المدينة فأثار منها كل شئ"

إِنَّ الرَّسُولَ لِيُورِئُ يُسْتَضَاءَ بِهِ
مَنْ طَلَمَةَ الشَّرِكِ أَوْ مِنْ طَلَمَةَ الْكُفْرِ

وَإِنْ أَرَدْنَا لَهُ وَضْعًا يَلِيْقُ بِهِ
فَهُوَ السَّرَاجُ الَّذِي يُعْجِي عَنِ الْبُدْرِ

وقد بعث النبي - ﷺ - إلى أخواله من بني النجار يريد أن يكرمهم فجاءوا متقلدين السيوف، يحيطون بناقته القصوى وهو عليها، فرحين أنه منهم.

أُنْظِرْ بَنِي النَّجَارِ حَوْلَكَ عُدًّا
يَرِدُونَ نُورَكَ جِئْنَ فَاصِّ الْمَنْهَلِ

لم يُنزلوك على الخُؤولِ وحدها
كلَّ المواطنِ للنبوةِ مُنزلٌ

وقد تطلَّعَ زعماءُ الأنصارِ إلى استضافةِ الرسول- ﷺ - كلَّ يريدُ أن يظفرَ بشرفِ نزولِ رسول - ﷺ - في بيته، وكانوا يعترضون الناقةَ سيِّداً إثرَ سيد، ويقولون: يا رسول الله هلمَّ إلى العددِ والعدة، والعزِّ والمنعة، فيقول - ﷺ -: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

يا قائِدَ القُصُوءِ دَعِها؛ إِنَّها
مَأْمُورَةٌ فَاعجِبْ لها أَنْ تُؤمَّرَ

دَعِها تيسرَ فَلَيسَوفَ تُلقِي رَجُلَها
في مَوْضِعٍ سَيَكُونُ بَعْدَ الْمُنْبَرِ

وَلَيسَوفَ يُعَدُّو بَعْدَ ذَلِكَ رَوْضَةً
مِنْ جَنَّةِ الْفُزْدُوسِ يُفَصِّدُها الْوَرَى

أحب - ﷺ - ألا يفرق الناس، فلو قبل دعوة الأوس قالت الخزرج مآلاًهم علينا من أول يوم، فتخرج - ﷺ - أن يقبل دعوة أحد، وقال خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، حتى بركت في موضع المسجد اليوم ولم ينزل، ثم قامت وأخذت جوله، ثم عادت إلى مبركها الأول فبركت، فنزل رسول الله - ﷺ - فعند ذلك غمرت الفرحة فؤاد أبي أيوب الأنصاري؛ وكان رجلاً عاقلاً ما زاحم الناس، بل بادر إلى رسول - ﷺ - وحمل متاعه بين يديه، وكأنما يحمل كنوز الدنيا كلها ومضى به إلى بيته.
فسأل - ﷺ - عن رحله فقالوا: في دار أبي أيوب، فقال - ﷺ -: المرؤ مع رحله.

والنَّاقَةُ القُصُوءِ تَفْضِي بِالْهَدْيِ
وَبَيْتِ أَبِي يُبِيحُ تَرْفَعُ

وُحِبُّ بِالنُّورِ الْمُهاجِرِ أُمَّةً
نَالَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ خُلْدٍ مُرْتَقِي

بعد أن أقام النبي - ﷺ - في بيت أبي أيوب نحو سبعة أشهر، حتى تم بناء مسجده، وبناء حجرات أمهات المؤمنين، سودة وعائشة - رضي الله عنهما - انتقل بعد ذلك إلى الحجرات التي أقيمت حول المسجد له ولأزواجه.

هكذا كانت مراسم الإستقبال للنبي - ﷺ - من أهل المدينة الذين قدّموا صورة مشرقة للتاريخ في حسن الاتباع والافتداء بقائدهم - ﷺ - في المنشط والمكره. وفي الجزء السادس والأخير من المقال نستعرض بمشيئة الله - تعالى - الخطوات التي قام بها النبي - ﷺ - في توطيد دعائم الدولة الإسلامية الناشئة.

اللهم أحيينا على سنّة نبيِّك محمد - ﷺ - ووفقنا لسيرته والسير على منهاجه، وتوفنا على ملته، وارزقنا شفاعته، وأوردنا حوضه، و أكرمنا بمرافقته في الفردوس الأعلى.

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسن مهدي قاسم الربيعي